| | |
|---|---|
| العنوان: | أقوال وآراء رائقة في النصح للإمام بن حزم |
| المصدر: | صوت الأمة |
| الناشر: | الجامعة السلفية - دار التأليف والترجمة |
| المؤلف الرئيسي: | الرحيلي، عبدالله بن ضيف الله |
| المجلد/العدد: | مج48, ع3 |
| محكمة: | لا |
| التاريخ الميلادي: | 2016 |
| الشهر: | جمادى الآخر / مارس |
| الصفحات: | 46 - 54 |
| رقم MD: | 770946 |
| نوع المحتوى: | بحوث ومقالات |
| اللغة: | Arabic |
| قواعد المعلومات: | IslamicInfo |
| مواضيع: | السنة النبوية، علم الحديث، علماء الحديث، الأئمة والدعاة |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/770946 |

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

الرحيلي، عبدالله بن ضيف الله. (2016). أقوال وآراء رائقة في النصح للإمام بن حزم.صوت الأمة، مج48, ع3، 46 - 54. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/770946

إسلوب MLA

الرحيلي، عبدالله بن ضيف الله. "أقوال وآراء رائقة في النصح للإمام بن حزم."صوت الأمةمج48, ع3 (2016): 46 - 54. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/770946

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

أصول الدعوة

# أقوال وآراء رائقة في النصح للإمام ابن حزم

اختيار وتهذيب: أ. د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي

**توطئة:**

للإمام أبي محمد ابن حزم أقوال وآراء رائقة في مجال النصح وأساليبه الأخلاقية الشرعية، قد ذكرها، منثورة غير مرتبة، في كتابه: "الأخلاق والسير في مداواة النفوس" [1]. ولما لتلك الأقوال والآراء من أهمية في باب الأخلاق وطرق التعامل مع الآخرين تعاملا حسنا، على وجازتها، جاء الاختيار لتتبعها وجمعها ونقلها هنا – بعد إصلاح الأخطاء الطباعية الواقعة في النسخة المطبوعة، ووضع عناوين لها المرجو أن تكون مناسبة – .

**١ – حكم نصيحة الناصح إذا لم يتمثلها**

"فُرض على الناس تعلّم الخير والعمل به، فمن جمع الأمرين فقد استوفى الفضيلتين معا، ومَن علِمه ولم يعمل به فقد أحسن في التعليم، وأساء في ترك العمل به، فخلط عملا صالحا وآخر سيئا، وهو خير من آخر لم يعلمه ولم يعمل به، وهذا – الذي لا خير فيه – أمثل حالا، وأقل ذما من آخر ينهى عن تعلم الخير، ويصد عنه.

ولو لم ينه عن الشر إلا من ليس فيه منه شيء، ولا أمر بالخير إلا مَن استوعبه، لما نهى أحد عن شر، ولا أمر بخير بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وحسبك بمن أدى رأيه إلى هذا فسادا وسوء طبع وذم حال. وبالله التوفيق.

قال أبو محمد – رضي الله عنه – فاعترض ههنا إنسان فقال: كان الحسن – رضي الله عنه – إذا نهى عن شيء لا يأتيه أصلا، وإذا أمر بشيء كان شديد الأخذ

---

[1] وهو كتاب جد مهم في الأخلاق، واسم مطابق لمعناه.

به، وهكذا تكون الحكمة، وقد قيل: أقبح شيء في العالم أن يأمر بشيء ولا يأخذ به نفسه، أو ينهى عن شيء يستعمله.

قال أبو محمد: كذب [١] قائل هذا، وأقبح منه من لم يأمر بخير، ولا نهى عن شر، وهو مع ذلك يعمل الشر ولا يعمل الخير.

قال أبو محمد: وقد قال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى ... بالعلم منك وينفع التعليم

قال أبو محمد: إن أبا الأسود إنما قصد بالإنكار: المجيء بما نهى عنه المرء، وأنه يتضاعف قبحه منه مع نهيه عنه، فقد أحسن، كما قال الله تعالى: {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم} [٢]، ولا يظن بأبي الأسود إلا هذا.

وأما أن يكون نهى عن النهي عن خلق مذموم، فنحن نعيذه بالله من هذا، فهو فعل من لا خير فيه، وقد صح عن الحسن أنه سمع إنسانا يقول: لا يجب أن ينهى عن الشر إلا من لا يفعله، فقال الحسن: ودّ إبليس لو ظفر منا بهذه حتى لا ينهى أحد عن منكر، ولا يأمر بمعروف. وقال أبومحمد: صدق الحسن، وهو قولنا آنفا، جعلنا ممن يوفق لفعل الخير والعمل به وممن يبصر رشد نفسه، فما أحد إلا له عيوب، إذا نظرها شغلته عن غيره، وتوفانا على سنة محمد صلى الله عليه وسلم، آمين يا رب العالمين". [٣]

**٢ – لا تنصح على شرط القبول**

"لا تنصح على شرط القبول، ولا تشفع على شرط الإجابة، ولا تهب على شرط الإثابة، لكن على سبيل استعمال الفضل، وتأدية ما عليك من النصيحة والشفاعة، وبذل المعروف". [٤]

---

[١] أي: أخطأ، وذلك بحسب الاستعمال لهذه الكلمة عند بعضهم.

[٢] ٤٤: البقرة: ٢. وتمام الآية: {وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون}.

[٣] الأخلاق والسير في مداواة النفوس: ٩٢ – ٩٣.

[٤] الأخلاق والسير ....: ٤١.

**٣ – الصداقة والنصح**

"... وليس كل صديق ناصحا، لكن كل ناصح صديق فيما نصح فيه.

وحد النصيحة هو أن يسوء المرء ما ضر الآخر، ساء ذلك الآخر أو لم يسؤه، وأن يسره ما نفعه، سر ذلك الآخر أو ساءه، فهذا شرط في النصيحة زائد على شروط الصداقة" [١].

"استبقاك من عاتبك، وزهِد فيك من استهان بسيئاتك، العتاب للصديق كالسبك للسبيكة، فإما تصفو وإما تطير" [٢].

**٤ – بعض الجوانب السلبية لأنماط من النصيحة**

"بعض أنواع النصيحة يُشكل تمييزه من النميمة، لأن من سمع إنسانا يذم آخر ظالما له، أو يكيده [٣] ظالما له، فكتم ذلك عن المقول فيه والمكيد كان الكاتم لذلك ظالما مذموما. ثم إن أعلمه بذلك على وجهه كان ربما قد ولد على الذام والكائد ما لم يبلغه استحقاقه بعد من الأذى، فيكون ظالما له، وليس من الحق أن يقتص من الظالم بأكثر من قدر ظلمه، فالتخلص من هذا الباب صعب إلا على ذوي العقول.

والرأي للعاقل في مثل هذا، أن يحفظ المقول فيه من القائل فقط، دون أن يبلغه ما قال، لئلا يقع في الاسترسال الزائد فيهلك. وأما في الكيد فالواجب أن يحفظه من الوجه الذي يُكاد منه بألطف ما يقدر في الكتمان على الكائد، وأبلغ ما يقدر في تحفيظ المكيد، ولا يزد على هذا شيئا. وأما النميمة فهي التبليغ لما سمع مما لا ضرر فيه على المبلغ إليه، وبالله التوفيق" [٤].

---

[١] الأخلاق والسير ....: ٤١.

[٢] الأخلاق والسير ...: ٣٩.

[٣] في المطبوع: "بكيده" وهوخطأ.

[٤] الأخلاق والسير ... :٤٣- ٤٤.

**٥ – تكرار النصيحة والصفات المطلوبة في النصيحة**

"النصيحة مرتان: فالأولى فرض وديانة، والثانية: تنبيه وتذكير، وأما الثالثة فتوبيخ وتقريع، وليس وراء ذلك إلا التركل واللطام، اللهم إلا في معاني الديانة، فواجب على المرء ترداد [١] النصح فيها رضي المنصوح أو سخط، تأذى الناصح بذلك أو لم يتأذ.

وإذا نصحت فانصح سرا لا جهرا، وبتعريض لا تصريح، إلا أن لا يفهم المنصوح تعريضك، فلابد من التصريح.

ولا تنصح على شرط القبول منك.

فإن تعديت هذه الوجوه فأنت ظالم لا ناصح، وطالب طاعة وملك لا مؤدي حق أمانة وأخوة، وليس هذا حكم العقل، ولا حكم الصداقة، لكن حكم الأمير مع رعيته، والسيد مع عبيده" [٢]!!

"... إذا نصحت ففي الخلاء وبكلام ليّن، ولا تُسند سب من تحدثه إلى غيرك فتكون نماما، فإن خشنت كلامك في النصيحة فذلك إغراء وتنفير، وقد قال الله تعالى: {فقولا له قولا لينا} [٣] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تنفروا).

وإن نصحت بشرط القبول فأنت ظالم، ولعلك مخطئ في وجه نصحك، فتكون مطالبا بقبول خطئك وبترك الصواب" [٤]!!

**٦ – بين إغضاب الخالق وإغضاب المخلوق**

"إن لم يكن بد من إغضاب الناس، أو إغضاب الله – عز وجل – ولم يكن لك مندوحة عن منافرة الخلق أو منافرة الحق، فأغضب الناس ونافرهم، ولا تغضب ربك ولا تنافر الحق" [٥].

---

[١] في المطبوع: "تزداد" وهوخطأ.

[٢] الأخلاق والسير .....: ٤٤.

[٣] ٤٤: طه: ٢٠.

[٤] الأخلاق والسير....: ٤٨.

[٥] الأخلاق والسير ....: ٦٢.

**٧ – الهدي المطلوب في النصيحة**

"الاتساء بالنبي صلى الله عليه وسلم في وعظ أهل الجهل والمعاصي والرذائل واجب، فمن وعظ بالجفاء والاكفهرار فقد أخطأ، وتعدى طريقته صلى الله عليه وسلم، وصار في أكثر الأمر مغريا للموعوظ بالتمادي على أمره – لجاجا وحردا ومغايظة للواعظ الجافي – فيكون في وعظه مسيئا لا محسنا.

ومن وعظ ببشر وتبسم ولين وكأنه مشير برأي، ومخبر عن غير الموعوظ بما يستقبح[١] من الموعوظ، فذلك أبلغ وأنجع في الموعظة، فإن لم يتقبل فلينتقل إلى الموعظة بالتحشيم وفي الخلاء، فإن لم يقبل ففي حضرة من يستحيي منه الموعوظ، فهذا أدب الله في أمره بالقول واللين.

وكان صلى الله عليه وسلم لا يواجه بالموعظة [٢] لكن كان يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا، وقد أثنى – عليه الصلاة والسلام – على الرفق، وأمر بالتيسير، ونهى عن التنفير، وكان يتخول بالموعظة خوف الملل، وقال تعالى: {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك} [٣].

وأما الغلظة والشدة، فإنما تجب في حد من حدود الله تعالى، فلا لين في ذلك للقادر على إقامة الحد خاصة.

ومما ينجح في الوعظ أيضا الثناء بحضرة المسيء على من فعل خلاف فعله، فهذا داعية إلى عمل الخير، وما أعلم لحب المدح فضلا إلا هذا وحده، وهو أن يقتدي به من يسمع الثناء، ولهذا يجب أن تؤرخ الفضائل والرذائل، لينفر سامعها عن القبيح المأثور عن غيره، ويرغب في الحسن المنقول عمن تقدمه، ويتعظ بما سلف" [٤].

---

[١] في المطبوع: "يستفتح" وهو خطأ.

[٢] لوقال – رحمه الله – : "كان لا يواجه بالموعظة دائما" لكان هذا صوابا، أما أنه مطلقا، لا يواجه بالموعظة، فهذا غير صحيح، بل كان صلى الله عليه وسلم على ما تقضي به الحكمة من المواجهة بالنصيحة أو عدمها، وثبوت أنه كان يقول: "ما بال أقوام ..." ليس ثبوتا لالتزامها دائما، وليس نفيا لثبوت غيرها.

[٣] آل عمران: ١٥٩.

[٤] الأخلاق والسير ....: ٦٢- ٦٣.

**٨ – ظاهرة التأثر والتأثير بين الأحياء والأشياء**

"تأملت كل ما دون السماء، وطالت فيه فكرتي، فوجدت كل شيء فيه من حي وغير حي، من طبعه – إن قوي – أن يخلع عن غيره من الأنواع كيفياته، ويلبسه صفاته: فترى الفاضل يود لو كان الناس فضلاء، وترى الناقص يود لو كان الناس نقصاء، وترى كل من ذكر شيئا يحض عليه يقول: وأنا أفعل أمر [١] كذا، وكل ذي مذهب يود لو كان الناس موافقين له، وترى ذلك في العناصر [٢]، إذا قوي بعضها على بعض أحاله إلى نوعيته، وترى ذلك في تركيب الشجر، وفي تغذي النبات والشجر بالماء ورطوبة الأرض، وإحالتهما ذلك إلى نوعيتهما، فسبحان مخترع ذلك ومدبره، لا إله إلا هو" [٣].

**٩ – شكر الخالق وشكر المخلوق**

"شكر المنعم فرض واجب، وإنما ذلك بالمقارضة له بمثل ما أحسن فأكثر، ثم بالتهمم بأموره، والتأني بحسن الدفاع عنه، ثم بالوفاء له حيا وميتا، ولمن يتصل به من ساقة وأهل كذلك، ثم بالتمادي على وده ونصيحته، ونشر محاسنه بالصدق، وطي مساويه ما دمت حيا، وتوريث ذلك عقبك وأهل ودك.

وليس من الشكر عونه على الآثام، وترك نصيحته فيما يوتغ [٤] به دينه ودنياه، بل من عاون من أحسن إليه على باطل، فقد غشه، وكفر إحسانه، وظلمه، وجحد إنعامه، وأيضا فإن إحسان الله تعالى وإنعامه على كل حال، أعظم وأقدم، وأهنأ [٥] من نعمة كل منعم دونه – عز وجل – فهو تعالى الذي شق لنا الأبصار الناظرة، وفتق فينا الآذان السامعة، ومنحنا الحواس الفاضلة، ورزقنا النطق والتمييز اللذين بهما استأهلنا أن يخاطبنا، وسخر لنا ما في السماوات وما في الأرض من الكواكب

---

[١] في المطبوع: "أمرا" وهو خطأ.

[٢] يقصد بها عناصر الأشياء والمواد من سوى الأحياء.

[٣] الأخلاق والسير....: ٦٣.

[٤] يُوتغُ: يفسد.

[٥] في المطبوع: "أوهنا" وهو تصحيف.

والعناصر، ولم يفضل علينا من خلقه شيئا غير الملائكة المقدسين، الذين هم عمار السماوات فقط.

فأين تقع نعم المنعمين من هذه النعم؟!

فمن قدّر أنه يشكر محسنا إليه بمساعدته على باطل، أو بمحاباته فيما لا يجوز، فقد كفر نعمة أعظم المنعمين، وجحد إحسان أجل المحسنين إليه، ولم يشكر ولي الشكر حقا، ولا حمد أهل الحمد أصلا، وهو الله – عز وجل – .

ومن حال بين المحسن إليه وبين الباطل، وأقامه على مر الحق فقد شكره حقا، وأدى واجب حقه عليه مستوفى، ولله الحمد أولا وآخرا وعلى كل حال" [1].

**١٠ – النطق بعيوب الناس ليس نصيحة**

"واعلم يقينا أنه لا يسلم إنسي من نقص، حاشا الأنبياء – صلوات الله عليهم – . فمن خفيت عليه عيوب نفسه فقد سقط، وصار من السخف والضعة والرذالة والخسة وضعف التمييز والعقل وقلة الفهم، بحيث لا يتخلف عنه متخلف من الأرذال، وبحيث ليس تحته منزلة من الدناءة، فليتدارك نفسه بالبحث عن عيوبه، والاشتغال بذلك عن الإعجاب بها وعن عيوب غيره التي لا تضره لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وما أدري لسماع عيوب الناس خصلة إلا الاتعاظ بما يسمع المرء منها، فيجتنبها ويسعى في إزالة ما فيه منها بحول الله تعالى وقوته.

وأما النطق بعيوب الناس فعيب كبير، لا يسوغ أصلا، والواجب اجتنابه، إلا في نصيحة من يتوقع عليه الأذى بمداخلة المعيب، أو على سبيل تبكيت المعجب فقط في وجهه لا خلف ظهره، ثم يقول للمعجب: ارجع إلى نفسك، فإذا ميزت عيوبها فقد داويت عجبك، ولا تمثل بين نفسك وبين من هو أكثر عيوبا منها [2]، فتستسهل الرذائل، وتكون مقلدا لأهل الشر، وقد ذم تقليد أهل الخير، فكيف تقليد أهل الشر؟! ولكن مثل بين نفسك وبين من هو أفضل منك، فحينئذ يتلف عجبك، وتفيق من هذا الداء

---

[1] الأخلاق والسير ...: ٨٨ – ٨٩.

[2] أي: لا تقايس نفسك بمن هو أكثر منها عيوبا، فيكون ذلك سببا لاستسهال الرذائل.

القبيح الذي يولد عليك الاستخفاف بالناس – وفيهم ، بلا شك، من هو خير منك – فإذا استخففت بهم بغير حق استخفوا بك بحق، لأن الله تعالى يقول: {وجزاء سيئة سيئة مثلها} [1]، فتُولد على نفسك أن تكون أهلا للاستخفاف بك، بل على الحقيقة، مع مقت الله – عز وجل – وطمس ما فيك من فضيلة ...." [2].

**١١ – أدب الحضور لمجالس العلم**

"إذا حضرت مجلس علم، فلا يكن حضورك إلا حضور مستزيد علما وأجرا، لا حضور مستغن بما عندك، طالبا عثرة تشيعها، أو غريبة تشنعها، فهذه أفعال الأرذال الذين لا يفلحون في العلم [3] أبدا.

فإذا حضرتها على هذه النية، فقد حصلت خيرا على كل حال، وإن لم تحضرها على هذه النية، فجلوسك في منزلك أروح لبدنك، وأكرم لخلقك، وأسلم لدينك.

فإن حضرتها كما ذكرنا، فالتزم أحد ثلاثة أوجه، لا رابع لها، وهي:

- إما أن تسكت سكوت الجهال: فتحصل على أجر النية في المشاهدة، وعلى الثناء عليك بقلة الفضول، وعلى كرم المجالسة، ومودة من تجالس.

فإن لم تفعل ذلك، فاسأل سؤال المتعلم، فتحصل على هذه الأربع محاسن، وعلى خامسة، وهي: استزادة العلم.

وصفة سؤال المتعلم: أن تسأل عما لا تدري، لا عما تدري، فإن السؤال عما تدريه سخف، وقلة عقل، وشغل لكلامك، وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه، لا لك ولا لغيرك، وربما أدى إلى اكتساب العداوات، وهو – بعد – عين الفضول، فيجب عليك أن لا تكون فضوليا، فإنها صفة سوء.

---

[1] ٤٠ : الشورى: ٤٢.

[2] الأخلاق والسير ...: ٦٥ – ٦٦.

[3] في المطبوع: "العالم" وهو تصحيف.

فإن أجابك الذي سألت بما فيه كفاية لك، فاقطع الكلام، وإن لم يجبك بما فيه كفاية، أو أجابك بما لم تفهم، فقل له: لم أفهم، واستزده، فإن لم يزدك بيانا وسكت، أو أعاد عليك الكلام الأول، ولا مزيد، فأمسك عنه، وإلا حصلت على الشر والعداوة، ولم تحصل على ما تريد من الزيادة.

- والوجه الثالث: أن تُراجع مراجعة العالم.

وصفة ذلك: أن تعارض جوابه بما ينقضه نقضا بينا، فإن لم يكن ذلك عندك، ولم يكن عندك إلا تكرار قولك، أو المعارضة بما لا يراه خصمك معارضة، فأمسك، فإنك لا تحصل بتكرار ذلك على أجر، ولا على تعليم، ولا على تعلم، بل على الغيظ لك ولخصمك، والعداوة التي ربما أدت إلى المضرات.

وإياك وسؤال المعنت، ومراجعة المكابر، الذي يطلب الغلبة بغير علم، فهما خلقا سوء، دليلان على قلة الدين، وكثرة الفضول، وضعف العقل، وقوة السخف، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإذا ورد عليك خطاب بلسان، أو هجمت على كلام في كتاب، فإياك أن تقابله مقابلة المغاضبة الباعثة على المغالبة، قبل أن تتبين بطلانه ببرهان قاطع، وأيضا فلا تقبل عليه إقبال المصدق به، المستحسن إياه، قبل علمك بصحته ببرهان قاطع، فتظلم في كلا الوجهين نفسك، وتبتعد عن إدراك الحقيقة، ولكن أقبل عليه إقبال سالم القلب عن النزاع عنه، والنزوع إليه، إقبال من يريد حظ نفسه في فهم ما سمع ورأى، فالتزيد به علما، وقبوله إن كان حسنا، أو رده إن كان خطأ، فمضمون لك – إن فعلت ذلك – : الأجر الجزيل، والحمد الكثير، والفضل العميم" [1]!!

❖❖❖

[1] الأخلاق والسير في مداواة النفوس: ٩٠ – ٩١.